النّحو التّعليمي. أسس ونماذج

Grammatical material - foundations and models

حليمة هنيش
جامعة الجزائر 2 (الجزائر)
mmarh1645@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/01/15	تاريخ القبول: 2020/03/07

الملخص:

إنّ القول بأنّ "الهمّ التّعليمي ومحاولات التيسير وليد عصرنا" قول مبالغ فيه؛ لأن الشّعور بصعوبة المادّة النّحوية ضاربة جذورها في عمق تّاريخ الفكر العربيّ، والشّاهد على محاولات التّعليم والتبسيط للناشئة هذه المؤلفات التي ألفت كشروح ومختصرات ومنظومات وحواش... وهذا يدل على أنّ كلّ قارئ -أو معلّم أو شيخ -كان عندما يقف على ظاهرة أو صعوبة ما يحاول تبسيطها و توضيحها، هذه الغاية التي يسعى لتحقيقها النّحاة الأوائل منذ القرن الثّاني للهجرة، وتبعا لهذا سنحاول تسليط الأضواء على الأسس التي قام عليها النّحو التّعليمي مع أخذ عيّنة من كتبه النّموذجيّة التّراثيّة منها والحديثة والتي كانت ولا تزال بمثابة ذاكرة المتعلّم في النّحو العربي.

الكلمات المفتاحية: **النّحو، المادّة النّحويّة، النّحو التّعليميّ، المتعلّم.**

Abstract:

It's said that "the educational concern and the attempts of simplifying are the products of our present time". It's an overstatement, since the feeling of the grammatical material's difficulty is rooted in the depth of the Arab intellectuality's history. The evidences about the attempts of education and simplification, for young people, are these writings, which are in the form of brief explanations, that indicates that every reader or teacher tries to simplify and clarify any difficulty or phenomenon, whenever he finds it. This was the first grammarians' objective since the 2nd century Hijri. According to this, we attempt to shed light on the educational grammar's basis, with taking heritage and modern samples of its books, which were and still considered as the Arab grammar learner's memory.

Key words: grammar, the grammatical material, the arner.

مقدمة:

نتيجة للتغيرات المذهلة التي شهدها العالم اليوم ولا يزال، عصفت بفكر اللّغويين العرب المحدثين عاصفة التنقيب عن أساليب تعليمية بديلة عن الأساليب التقليدية في مجال تعليم اللغة العربية، ذلك أن اللّغة كائن اجتماعي يستجيب لروح هذه التغيرات الحاصلة، ولما كان النّحو عمود اللغة العربية فإنّه قد أصابه ما أصابها، وذلك لاستصعاب النّاشئة له، ولا يطلب التيسير إلا حينما تستصعب الأشياء، ولهذا انكب الباحثون في إيجاد حلول ترضي أطراف العمليّة التّعليميّة التعلميّة - سواء ذلك قديما أم حديثا -بغية إنجاح المتعلّم في كل ما قرر عليه أولا و إكسابه مهارات جديدة ترسخ في الذهن ثانيا.

المؤلف المرسل: حليمة هنيش

لهذا وذاك كان من الواجب تسطير برامج وعقد دورات وندوات، وتأليف كتب ووضع مقالات، ونظم المختصرات و الشّروحات التي تهدف إلى سد ثغرات تعليم النّحو، فكانت سببا في فهم قضايا نحوية استعسرت على المتعلمين والمعلمين معا، إذ سعت هذه الجهود في البحث عن أيسر الطرق وأفضلها لجعل النحو العربي في متناول جميع المتعلمين عربا وعجما، وهو ما صار يدعى(النّحو التّعليمي)، هذا بمجمله يدفعنا للتساؤل عن أسس هذا المنهج النّحوي ومدى نجاعته في تعليم النّحو وتيسيره؟.

هذا ما سنحاول الكشف عنه وفق خطة بحث نتناول فيها أسس النّحو التّعليمي، نردفها بدراسة وصفية تحليلية لبعض الكتب النحوية التي تمثل نماذج عن النّحو التّعليمي قديما وحديثا، رغبة في الكشف عن مدى مساهمتها في تقريب النّحو للمتعلّمين.

1- أسس النّحو التّعليميّ:

إنّ الدّعوة إلى تيسير النّحو في الدراسات اللّغويّة الحديثة يختلف المراد منها، فمن الدّارسين من صوب تيسيره على مستوى المادة النّحوية، المتمثلة في الجانب المعرفي، ومنهم من ارتكز تيسيره على المستوى التّربوي، متمثلا في الجانب النّفسي. وهذا ما سنعرض له فيما هو آت من البحث.

أ-أسس النّحو التّعليمي على مستوى المادّة اللّغويّة :

*نزع أبواب من النّحو: ويعدّ(ابن مضاء القرطبي) أبرز دعاة هذا التوجه بدعوته إلى :

1-1 إلغاء العامل والإعراب التقديري والمحلي: ويرى(ابن مضاء القرطبي) أنّه لا طائل من (العامل النحوي)، وما يتبعه من إعراب تقديري ومحلي، لأنّه بإمكاننا الاستغناء عنهما -حسب اعتقاده -فيقول:" قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النّحو ما يستغني النّحوي عنه، وأنبه على ما أجمعوا على الخطإ فيه "[(1)].

2-1 إلغاء بعض العلل والقياس و زوائد أخرى: يكتفي (ابن مضاء) بالعلة الأولى مستغنيا عن سائر العلل الأخرى، كقولنا: (كل فاعل مرفوع)، فكذلك سمعناه وعلمناه عن العرب دون الخوض في أسباب رفع هذا الفاعل، ولارتباط العلّة بالقياس فطبيعيّ أن يلغى أيضا وقد قال شوقي ضيف:" إذ كانوا ينفون العلل كما قدّمنا كما ينفون القياس" ، [(2)] ومن دعاة إلغاء التعليل (عباس حسن) الذي قيل عن كتابه:"ولقد تتبعت المسائل النّحوية في كتاب النّحو الوافي... فلا يكاد يمر بك تعليل أو تأويل إلا وتراه يرفضه بحجّة أنّه متكلّف" [(3)] .

إنّ استقراءنا رؤية(شوقي ضيف) يقودنا إلى أنّه لم يقف عند حد هذه الدعوات التي تمسك بها (ابن مضاء) الملغيّة لبعض الأبواب، وإنّما حاول الإتيان بالبديل المتمثل في إعادة تنسيق أبواب النّحو ووضع ضوابط وتعريفات دقيقة.

ملاحظة: صحيح أن هذه الأبواب النّحوية- كالعامل والعلّل والقياس- موجهة للمتعلّمين المتخصصين أصحاب الكفاءات العالية، إلا أن هذا لا يسمح بنزعها، فهذا أمر يستحيل تحقيقه، ذلك أنّ النّحو

برمّته قائم على هذه الأسس المتينة، ولذلك فنحن بحاجة إلى إعادة هيكلة الطرق والمناهج لا المادّة نفسها.

وما يدعم اعتقادنا هو ما قاله(التواتي بن التواتي):" فإذا كانت هذه الدّعوة إلى إعادة النّظر في طرق عرضه وتبليغه إلى النّاشئة بطرق أكثر ملاءمة لجوّ العصر، وكانت تمس الشّكل لا المضمون، وتتعلّق بالطرق البيداغوجيّة، فنحن معها ونناصرها ونؤيدها وندعو لها ونشد على أيدي الدّاعين لها، فهي دعوة مقبولة ".[4] وقد أتبع قوله هذا بقول العلامة(عبد الرحمن الحاج صالح) الذي أشار إلى أنه من غير المعقول حذف بعض قوانين النّحو وعلله. وهاهو الأستاذ (صالح بلعيد) يشيد بالحاجة إلى طرائق حديثة قائلا:" ولسنا في حاجة إلى مزيد من التّأليف في النّحو المدرسيّ بقدر ما نحن بحاجة إبداع طرائق حديثة مبسطة لأبنائنا بحيث يستسيغون النّحو ويقبلون عليه" [5].

*تقديم العموميّات والكلّيات أو الضّروريات للطالب المبتدىء: ففي مراحل متقدمة نلقي إليه بالجزئيات، كأن نقول للمتعلّم في بداية تعلّمه أنّ: الاسم نوعان(معرب ومبني)، أما الإجابة عن سؤال :لم الإعراب؟ ولم البناء؟ فلا يكون ذلك إلا في مرحلة لاحقة. وللتمثيل لذلك نورد قول(ابن مالك) في ألفيّته النّحوية: [6]

والاسْمُ مِنْهُ مُعْرَبٌ وَمَبْنِي لِشَبَهٍ مِنَ الحُرُوفِ مُدْنِي
كَالشَّبَهِ الوَضْعِي فِي اسْمَي (جِئْتَنَا) وَالمَعْنَوِيّ فِي (مَتَى) وفِي(هُنَا)

يمثل الشطر الأوّل للبيت الأول إحدى العموميات التي يجب يعيها المتعلّم أما ما تلاه في الشّطر الثاني للبيت الأوّل والبيت الثّاني؛ فيمثل إحدى الجزئيّات التي تُلائم المراحل اللاحقة من التّعليم.

• الهدف الأساسي للنّحو التّعليمي: وهو ما يحتاجه كل منشغل باللّغة، وهو أداء الوظيفة الأساسيّة للنّحو من خلال القواعد النّحوية، بجعلها رياضة ذهنيّة توقظ ملكات المتعلّم وبالدّربة والمرِان يتّسع مجال الفائدة، ويكتسب المتعلّم- في نهاية المرحلة- نوعا من المهارة البشريّة التي تمكنه من التّواصل.[7]

• الابتعاد عن استخدام الشّواهد الشّعرية المعقدة: التي لا يعيها المتعلّم فلا بد أن تكون المادّة المقدّمة للمتعلّم مركزة تركيزا شديدا بحيث تخلو من إيراد الشّواهد إلا في أضيق الحدود. • **فصل النحو عن الصّرف:** فقد افترق النّحو عن الصّرف بمرور الزّمن، فصار للنّحو كتبه الخاصة وللصرف كتبه الخاصة أيضا. وهذا بعد أن كانا متلازمين في مؤلفات النّحو العلميّ أوالنّحو التّعليمي، ومن أمثلة هذا الفصل المنهجي في المؤلفات التّعليمية:

-كتابا عبده الراجحي (1937م -2010م)التّطبيق النّحوي والتّطبيق الصّرفي.

هذه أبرز الأسس التي قام عليها النحو التعليمي على مستوى المادّة النّحوية، والتي اتخذ منها سبيلا في تحقيق ضالته المنشودة، ولا يفوتنا في هذا المقام أن نختم بما قاله الأستاذ(صالح بلعيد) الذي دعا إلى" الخروج من الأمثلة المكررة: ضرب زيد عمرا، وخرج زيد وما سافر إلا خالد، ويا غافلا تنبه، فهل تنبه الآن بعد مرور ثلاثة عشر قرنا على تكرار نفس الأمثلة، ونغلق باب الخصام" [9].

ب -أسس النّحو التّعليمي على مستوى الجانب التّربوي التّعليمي(البيداغوجي الديداكتيكي):

كثيرا ما اهتمت كتب النّحو التّعليمي بالمتعلّم، إذ عمدت إلى تقديم مناهج جديدة وظيفية تساهم في بلورة العمليّة التّعليمية، وفي هذا الشأن يقول(شوقي ضيف) متحدثا عن منهاج كتابه: "ولعلي – بهذا الكتاب-أكون قد حققت أملا طال انتظاره، بتجديد النحو على منهاج وطيد يذّلله ويبسطه ويعين على تمثّل قواعده، واستكمال نواقصه" [(10)].

ومن هذا السّبيل انتهجت بعض كتب تيسير النّحو نهجا منطقيّا في عرض الأمثلة أوّلا ثم تحليلها ثانيا، واستنباط القاعدة، ويتبعها التّطبيقات أخيرا، مما يُحبب النّحو للمتعلّم. وهذا ما نجده في كتاب(التنوير في تيسير التيسير في النحو) [(11)].

إنَّ إنجاح العمليّة التّعليميّة تتوقف على مدى حسن اختيار المعلّم المربّي للطرائق والوسائل التّعليمية النّاجعة، والتي تتجلى في مصدرين:

-**إمّا في الكتب** : كأن تكون طريقة تقديم أبوابها سهلة لا ترهق الأذهان، ولا تنفر منها نفوس المتعلمين " فتلجج في صدورنا أن نضع لهؤلاء التّلاميذ كتابا في القواعد يجري معهم على قدر خطاهم، ويكشف لهم من مسائل العلم ما يلائم عقولهم، ويأخذ بأيديهم في طريق ممهدة هونا إلى الغاية، ويبعث فيهم حبّ العربيّة " [(12)].

-**وإمّا من ابتكار المعلّم نفسه:** بانتقاء بعض الأساليب التي تناسب المتعلّم في مختلف الأطوار الدراسيّة. وهذا ما نلمسه في قول ماريو باي (MARIO PEI):" ولكن تطبيق المبادئ الوصفيّة الكاملة على النّحو التّعليمي للمبتدئ يجب أن تكون مع شيء من الحذر ومؤسسا على الظروف والاحتياجات المطلوبة " [(13)].

*دعوة النّحو التّعليمي إلى توظيف أمثلة تتصل بواقع المتعلم اليومي: ولهذا لابد للمعلّم أو المؤلف " أن يتوخى في أمثلته نماذج التّعبير عن المفاهيم المألوفة، وصور النشاط اليومي حتى تزيل الجفوة بين المثقف وقواعد لغته، وتُولد عنده الإحساس بأنّ ما يقرؤه ويدرسه جزء لا ينفصل عن سلوكه اللّغوي العادي" [(14)].

إنّ النّحو التّعليميّ يولي اهتماما بالغا بنفسيّة المتعلّمين، وهذا نتج جراء التأثر بالنّظريّات اللّسانية الغربيّة، وهي ما يسمى بنظريّات اكتساب اللّغة، كالنّظرية السّلوكيّة والنّفسية مثلا.

* يغلب على كتب النّحو الحديثة طابع ميداني يقدم تمارين وتطبيقات عملية ترسّخ القواعد في ذهن الطّلاب." ولهذا حرص الممنهجون على تقديم تدريبات كثيرة متنوعة لتثبيت الاستخدام اللغوي الصّحيح وإيضاح ما قد يكون في حاجة إلى إيضاح " [(15)] . ومن الأمثلة الإيضاحية الجلية – من تراثنا العربي –المنظومات التي ألفت في مختلف العلوم ولعل أكثرها رواجا ألفيّة ابن مالك في النّحو ومختلف شروحاتها وحواشيها.

* التجديد في طرائق عرض المادة النحوية بشكل مبسط: أي " أن تلجأ إلى نوع جديد من عرض حقائق النحو عن طريق الأشكال الإيضاحية المعينة على تصور العلاقات بين الأحكام"[16]،ومنها استعمال الجداول والصور والمخططات التوضيحية.

بعد هذا العرض الموجز لهذه الأسس نخلص إلى القول: إنّ كل محاولات تيسير النّحو وتجديده وإصلاحه بدعوى -عقمه وقصوره –ذلك لايعيب النّحو العربيّ الأصيل في شيء ولم تزعزعه هذه الصيحات التّجديدية الحديثة، من دون أن ننكر النوايا الحسنة وما سعت في تقديمه من خدمات للمتعلّم والمعلّم في حقل تعليم اللغة العربيّة ونحوها.

2- نماذج تراثية وحديثة في النّحو التّعليميّ:

أ-نماذج تراثية في النّحو التّعليميّ:

منذ بدء التقعيد للنّحو العربي الأصيل رافقته الحاجة الملّحة لمؤلفات تستجيب لحاجات التّعليم، فتظافرت الجهود للتأليف في هذا المجال، فكانت حاجتنا شبيهة بحاجة هؤلاء النّحاة وذلك بمحاولتنا تسليط الضوء على بعض هذه النّماذج التّراثية، التي كانت ولا تزال محتاجة إلى من يزيح عنها نقاب الغفلة وضباب النّسيان. ومن أشهر هذه النّماذج: 1-كتاب مقدمة في النّحو لخلف الأحمر(ت 180ه).

2-كتاب التفاحة لأبي جعفر النّحاس(ت 337ه).

3-كتاب الواضح للزبيدي(ت 379ه).

4-كتاب اللّمع لابن جني(ت392ه).

5-كناب الضّروري في النّحو لابن رشد(ت 595ه).

6-كتاب شارح كتاب اللمع: توجيه اللمع لابن خباز(ت 639ه).

7-كتاب المعرّب لابن عصفور(ت 669ه).

وسنقف في هذه الدّراسة على نموذجين هما :

2-1- كتاب التّفاحة لأبي جعفر النّحاس(ت337ه): وهو كتاب مختصر جدا، لا يتجاوز اثنين وثلاثين صفحة، ويبدو مناسبا لكل مبتدئ في النحو، وعنوانه دليل على رغبة المؤلف في تحبيب مادة النّحو للمتعلّم وإقباله عليها.

إنّ تصفُحنا لهذا الكتيب المختصر قادنا إلى معرفة أبوابه المختصرة حيث قسمه صاحبه إلى واحد وثلاثين بابا، إذ نجد في الصفحة الواحدة بابين أو ثلاثة، ومازاده جمالا وجاذبية في النفوس، إنه كتاب خال من مقدمة وخاتمة، يشتمل فقط على مقدمة الناشر

(كوركيس عواد)، والذي يتحدث عن هذه المخطوطة، ذاكرا أنه لم يعثر على نسخة ثانية لها، وأن المحقق المشهور(كارل بروكلمان) لم يذكر أي نسخة لهذه المخطوطة وهذا ينم على نفاسة هذا الكتاب.

يوجز(أبو جعفر النّحاس) - في بابه الأوّل- الحديث عن أقسام الكلام وعلامات الاسم والفعل، أمّا الباب الثّاني فقد وضعه للإعراب وقسمه إلى أربعة أنواع: الرفع والنّصب والجر والجزم وعلامات كل منها، وخصص الباب الثّالث للمثنى والجمع، كما خص الفعل بباب مستقل مبينا أنواعه الأربعة: الماضي، المستقبل، الأمر، والنّهي، كما يتناول الفاعل والمفعول في باب منفرد أيضا وعرض للمبتدإ دون الخبر، وهكذا تابع عرض موضوعات الكتاب ليختمها بباب الأسماء التي لا تنصرف بعد الحديث عن الحال والظروف والأعداد والتحذير.

إنّ طريقة هذا الكتاب في عرض المسائل النّحوية طريقة سهلة يسيرة ومن ذلك تقديمه للتعاريف متبعا إيّاها بالأمثلة في تمام الإيجاز، حيث يقول في بابه الأول:" اعلم أنّ العربية على ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، فالاسم ماجاز أن يكون فاعلا أو مفعولا أو صلح فيه حرف من حروف الخفض، مثل رجل وفرس، وزيد وعمر و، وما أشبه ذلك، والفعل ما دل على المصدر وحسن فيه الجزم والتصرف. مثل: يقوم، قعد، يقعد، وما أشبه ذلك "[17]. ثم نراه يكمل حديثه عن الحرف ممثلا له في سطرين-لاأكثر- مما يجعل المتعلّم يقبل عليه.

ومما لا حظناه في هذا المصنف أنه بريء من ذكر العلل والخلافات وأسلوب الترجيح كذلك، ومراده –حسب فهمنا-هو عدم تشتيت ذهن المتعلم في بلوغ ضالته، وبالتالي كتاب(التفاحة) في مجملة هو كتاب ميسر ذو طابع تعليمي –في عصره –يشهد لصاحبه بمحاولاته المساهمة في تعليم النّحو للمتعلّمين آنذاك.

2-2 كتاب الضّروري في النّحو لابن رشد(ت595ه): وهو كتاب يظهر فيه قصد مؤلفه من عنوانه، وهو ضروري لمن أراد أن يتكلم على عادة العرب في كلامهم على حد قول الفيلسوف ابن رشد، فهو مؤلفه الوحيد في النّحو ليكون أسهل تعليما وأشد تحصيلا للمعاني.

هذا الكتاب يعكس صورة عرض صاحبه، إذ لا تتجاوز مادته مائة وسبعا وستين صفحة فهو كتيب -في حقيقته -يتضمن أفكارًا بيداغوجيّة تلتقي ومستوى الفكر الحديث؛ بل والمعاصر في ميدان التّعليم المستعمل، فقد وجدنا في قول ابن رشد هذا التّلاقي:" أما نحو التّعليم المستعمل في هذه الصّناعة فهو التّعليم الذي يكون باستعمال الحدود والرسوم والتّمثيل..." [18].

إن النّاظر في كتاب ابن رشد يستنتج أنه قسم مادته العلميّة إلى مستويين يمكن أن نعبر عنهما بثنائية: الكليّات والجزئيّات، إذ لابد من تقديم الكليات للمتعلم –كما سبق وأشرنا- ثم الجزئيات لمن أراد الكمال في هذه الصّناعة." والأفضل في تعليم الولدان أن يلقى إليهم أولا الأقاويل الكلية وأن يؤخذوا بحفظها، فإذا شدوا وأرادوا الكمال في الصناعة أخذوا بتفاصيلها" [19]وهذا الذي يقوم عليه المنهج التّربوي التّعليمي الحديث.

ومن مظاهر التيسير التي استوقفتنا في هذا الكتاب التّعليمي الهوامش ذات الشّروحات التي توضح بعض القضايا النّحوية. يقول ابن رشد:" أما نحو التّرتيب المستعمل في أجزائها لأنّ البسيط في كل شيء قبل المركب، كان الترتيب الصناعي" [20]، إذ نجد ابن رشد يشرح في الهامش المقصود

(بالترتيب الصناعي) على أنّه الترتيب الذي تقتضي هذه الصناعة،مع إشارته لبعض المصادر المختلفة التي تتفق حول معلومة واحدة، والتي قد يحتاج إليها الباحث المتعلم ليستزيد في إثراء رصيده المعرفي.

وبالرجوع إلى لغة ابن رشد فهي ذات عبارات بسيطة لامعضلة فيها بعيدة عن الغموض إلا فيما ندر، واهتمامه بهذه اللغة جعل كتابه حصينا محاطا بالرعاية والاهتمام كيف لا؟ وهو وحيد أبويه، فقد اعتنى به اعتناء الأم بوحيدها، محاولا به سد الفراغ النّاجم عن تقصير النّحاة في إعداد الكتب التّعليمية.

ب – نماذج حديثة في النّحو التّعليمي :

لقد توالت التأليفات في النّحو التّعليمي منذ القرون الأولى للهجرة ولم تتوقف وإنّما تواصلت هذه الجهود ولا تزال إلى يومنا، فانصب بعضهم إلى التأليف الميسر كالكتب المنهجية، وانصرف بعضهم للنقد ومحاولة إيجاد بعض الحلول العلميّة، ليتخذ منها المتعلّم متكأ يقوده لفهم النحو وقضاياه، وهي كتب كثيرة اتّخذت عناوين مختلفة نذكر منه: 1-النحو الواضح لعلي الجارم ومصطفى أمين.

2-جامع الدّروس العربية لمصطفى الغلاييني.

3- تيسير النحو التّعليمي وتجديد النحو لشوقي ضيف.

4-الخلاصة النحوية لتمام حسان.

ولا يفوتنا في هذا المقام ذكر فضل بعض أعمدة التيسير و الإحياء، إبراهيم مصطفى (1888م-1962م)،ومهدي المخزومي(1917م-1993م). إبراهيم السامرائي (1922م-2001م)، وعباس حسن(1901م -1979م) وغيرهم وسنعرض في مقامنا هذا لبعض الجهود التيسيرية.

1-كتاب النحو الواضح لعلي الجارم(1881م -1949م) ومصطفى أمين (1914م-1997م).

طالت مكابدة التّلاميذ ومجاهدتهم في تحصيل النحو، مما دفع الشاعر المصري علي الجارم وتلميذه الصحفي أمين إلى تأليف كتاب عصري يصلح للبدايات التّعليميّة، آملين بذلك أن يكون كتابهما مرشدا للمتعلّم يجد فيه الغاية المنشودة بامتلاكه ناصية النحو وذلك مالم تستطع الكتب القديمة إنجازه.

والكتاب قائم في عرض مادّته على طريقة استنباطية مكيّفة مع احتياجات المتعلّم:" وقد نحونافي هذا الكتاب طريقة الاستنباط التي هي أكثر طرق التعلم قربا إلى عقول الأطفال وأثبتها أثرا في نفوسهم "[21].

وهذا المنهج الاستنباطي نلمسه في الكتاب من خلال طريقة عرض المؤلفيْن للمادة حيث عرضا في البداية أمثلة سهلة مناسبة لبيئة الصّغار، تتبعها قاعدة و تعاريف مستنبطة من الأمثلة، ويليها

تمارين تطبيقية تساعد المتعلمين على استثمار مكتسبات الدرس، وتبعث فيهم القدرة على الإنشاء والتّعبير الصّحيح، مما يزيد من ترسيخ القواعد في عقولهم.

يقوم هذا الكتاب على عرض تسلسلي نسقي محكم للمادّة النّحوية(أمثلة، قاعدة تمرينات)، وحتى في ترتيبهما للمادة بدءا بالأمور البسيطة للناشئة إلى مراحل أخرى متقدمة وهذه أهمّ سمات التّجديد التعليمي في هذا الكتاب والتي تطبق اليوم في مدارسنا،كما لاحظنا فيه ما يلي:-الأمثلة الموظفة بسيطة سهلة متداولة، يغيب عنها (الضرب وزيد).

-تحليل الأمثلة وشرحها مما يساهم في استنتاج واستخراج المتعلّم للقاعدة.

-القاعدة موجزة، عباراتها قصيرة دالة، مرقمة من أول درس حتى آخره.

-تدريبات مختلفة ومتنوعة في صياغتها(بين، عدّد، اقرأ، اجعل...)، ومتدرجة من الأبسط والأسهل إلى الأصعب.

-تقديم محتوى الكتاب مضبوطا بالشكل التام، كما يغلب عليه نظام الترقيم البارز خصوصا في الأمثلة والتّمرينات.

إنّ هذا العرض الذي قدمناه هو الإطار العام المعتمد في كتاب (النّحو الواضح)، كما أنّه خال من الكلام العربي كالأشعار والحكم والأمثال، ذلك أن هذه المادّة تفوق قدرات المتعلّم في مراحله الأولى من التّعليم، وبالتالي يمكننا القول أنّه من أَجَلِّ الكتب التّعليميّة وأيسرها، يقدم المادّة في منتهى البساطة، وبطريقة منهجيّة دقيقة تُحَقِّقُ المراد.

2-كتاب التّطبيق النّحوي لعبده الراجحي (1937م-2010م): يعد كتاب (التّطبيق النّحوي) كتابا تطبيقيًّا بالدرجة الأولى، فعنوانه يوحي بذلك، فقد ذكر صاحبه الغاية من تأليفه قائلا: " ومن هذه الطريقة، ومن الإيمان بضرورة تدريب الطلاب على درس النحو درسا تطبيقيّا نقدّم هذا الكتاب "[(22)].

لقد نحا (عبده الراجحي) في كتابه هذا نحوا يخالف من سبقه، حيث جعله (بابين) فقد تناول في (الباب الأول) الكلمة وحالاتها من حيث الإعراب والبناء، مفصلا الكلام عن الإعراب وعلاماته دون نسيان الحروف والأفعال، أمّا(الباب الثاني) فقد ضمنه (خمسة فصول)تحدث فيها عن الجملة ونوعيها وما يلحق الاسمية منها من نواسخ فعلية وحرفية كما تحدث عن المفاعيل وعن الجملة الأسلوبية مدرجا تحتها جمل النّداء، الأمر، النّهي...

ومما لا حظناه عند تصفحنا للكتاب أنه يترك أثرا ممزوجا بالأريحية والتفاعل بين القارئ المتعلّم والمؤلّف الأستاذ، فالكتاب محاورة ومخاطبة وجهة للمتعلّم، فكأنّك أمام أستاذ يُلقي عليك محاضرة في النّحو، من ذلك أنه يستعمل عبارات من قبيل:(أنت تعلم عليك أن تسأل نفسك، لوجدت، ولعلّك لاحظت، فأنت ترى...)، كما أنّه يمتاز بـ:

-الدقة في تعليم المسائل النّحوية، فكثيرا ما يقول: " ينبغي أن تكون مدقّقا في استعمال العبارات التي تستخدمها في كلّ من الإعراب والبناء، ولعلّك لاحظت أنّا نقول: مبني على الفتح، ولم نقل مبني بالفتحة، أو على الفتحة، ومرفوع بالضّمة ولم نقل مرفوع بالضم، أو على الضم" [(23)].

-توضيح القاعدة بنماذج إعرابيّة، مما يزيدها وضوحا في ذهن المتعلّم كقوله: " فإذا كان الاسم المنقوص نكرة حذفت ياؤه، وعوض عنها بتنوين يسمى تنوين العوض، وذلك في حالتي الرفع والجر فقط، فنقول:

جاء قاض: فاعل مرفوع بضمة مقدّرة على الياء المحذوفة منع من ظهورها الثقل.

مررت بقاض: مجرور بكسرة مقدّرة على الياء المحذوفة منع من ظهورها الثقل.

رأيت قاضيا: مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة.[(24)]

-كثيرا ما يشير (عبده الراجحي) إلى شرح بعض المصطلحات ضمن ما يسمى (تنبيهات) وكذا التنبيه لبعض الأخطاء الشائعة التي قد يقع فيها المتعلّم، والتي أدرجها تحت ما سمّاه(ملحوظة).

-الاعتماد على بعض المخططات التّوضيحيّة للأمثلة، كوضع مخططات لتوضيح مواضع تقدم الخبر وجوبا.

وهكذا فإن كتاب (التطبيق النّحوي) لعبده الراجحي كتاب يراعي المتعلّم وميوله لذلك جاء تطبيقيا –في مختلف مسائله –مستحدث المنهجية فنحن لم نعهد الكتب على بابين، كما يبدو لنا أن هذا الكتاب صالح للطلاب في الصفوف الأولى أكثر من غيرهم، وبالتالي فقد حقق قفزة نوعية في ميدان تعليم النحو.

3-كتاب مدرسي جزائري(كتاب اللغة العربية للسنة الثانية من التعليم المتوسط) أنموذجا.

يعدّ الكتاب المدرسيّ بمثابة دورة تكوينيّة تُساعد على بعث قدرات المتعلّم وإبراز مهاراته المختلفة، إنه الوسيلة الفعالة التي يستدرك بها المتعلمون خبايا اللّغة، فينمي بذلك معارفهم وطرق تفكيرهم والمدرسة هي مفتاح ذلك، إذ تعتمد الكتب المدرسيّة طريقة منهجية قد تم التّخطيط لها مسبقا وفق معايير معينة من قبل علماء التّربية، إنها معايير تتماشى وقدرات المتعلم.

وبالارتكاز على قاعدة أن النّحو بوابة اللغة، فهو يكسب المتعلم عادات لغوية تسهم في إيقاظ ملكاته المكبوته، حيث حرصنا على انتقاء كتاب يعكس صورة المدرسة الجزائرية، إنّه ينشد القومية، فكان خيارنا كتاب اللغة العربية للسنة الثانية من التعليم المتوسط، كتاب سهر على إعداده مجموعة من المؤلفين من أساتذة ومفتشين أملا منهم في تحقيق آمال المتعلّمين.

إنّ ولوجنا إلى عالم كتاب اللغة العربيّة في الطور الثاني من التّعليم المتوسط استوقفنا عند محطات مهمة في مجال التّعليميّة نلخص مجملها في الملاحظات التالية :

-الكتاب مرفوق بالعديد من الصور التّوضيحية، وخصوصا تلك الارتسامة الجزائرية التي تشيد بعلَمها وثوارها كصورة المجاهد (الأمير عبد القادر)، وصورة الغلاف يزينها حرف الضاد رمز لغة العرب، مما يزيد المتعلم تشبثا بوطنيته وبقوميته، وتعلقا بلغته العربية.

-فحوى الكتاب قائم على أساس الانسجام التسلسلي بين النشاطات، ممّا يسمح بالانتقال من نشاط إلى آخر دون إحداث قطيعة بين ما اكتسبه المتعلّم في المقاطع السابقة وما سيتعلمه في المقاطع اللاحقة، وهو يغرس في روح المتعلّم أنّ اللّغة كيان متكامل يحقّق الهدف الأسمى الذي هو (التّواصل).

-يتضمن الكتاب أغلب أبواب النّحو التي يحتاجها المتعلّم في مراحل التّعليم الأولى ليلتحق بالقواعد النّحوية الأخرى لاحقا، فهو عرض لقواعد اللّغة ودروسها بطريقة سهلة مباشرة.

-تقديم مادة النّحو بطريقة مشوقة مستساغة بالأنا، فالكتاب جاء على لسان المتعلّم وكأنه تلميذ يدرس لوحده، إذ نجده يقول: "أقرأ نصّي، أتذوّق نصي، أثري لغتي، أتعرف، أفهم ،أناق، أقوّم تعلّماتي، أقوّم مكتسباتي..."[25] وهذا من شأنه أن يشعر المتعلم بدوره الهام فيحس بالمسؤوليّة ويتعلق بالمادة ويقبل عليها.

-عنونة تمثيليّة جذابة بخط ملون ثخين بارز يثير الانتباه في عرض القواعد اللّغويّة فبدل قول (الأمثلة) مثلا يعمد إلى لفظة (أستثمر)، بحيث يكون ذلك الاستثمار من نبع النّص المتناول في الدّرس ذاته، وبدل القاعدة يستخدم لفظة (أستنتج).

-الكتاب حلة ألوان باهية، إذ عمدت لجنة التّأليف في كل مقطع تعلمي إلى لون تنثر به مادة الكتاب، ويعزز به للمتعلم حبّ قواعده.

-الابتعاد عن الخلافات النحوية وتعدد الآراء، وكذا الإعراب التّقديري والمحلي، فهو يقدم المادة النّحوية في منتهى الوضوح واليسر.

الكتاب نموذج من نماذج الكتب المدرسيّة الجزائريّة الحديثة، فقد ناب عنها ومثلها أحسن تمثيل، راسما لوحة التعليم الجزائري في أطواره الأولى، فهو يقدم لنا شيئا من التّيسير الذي ظلّ طموحا تتسابق الجهود لتحقيقه تحت راية(النّحو التّعليمي).

وأخيرا. نختم بما أكده الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن كتب النّحو -عند النّحاة المتقدمين-لم تخل في مقدماتها ولا مضامينها من الإشارات للنحو التّعليمي ذلك ما أشار إليه قائلا:" وكان النّحو عند نشأته علميّا تعليميّا في الوقت نفسه ...أمّا النّحو التّعليمي فهو ما كان يعلم الصبيان وكل من يرغب في تحسين مهارته اللغويّة، وكان لهم اهتمام كبير جدا بتعليم أبنائهم العربيّة" [26].

هذا ما سعت دراستنا لإثباته من خلال تناولنا جملة كتب كنماذج عن النحو التعليمي من التراث والحداثة، فهي تشترك في الغاية والهدف وإن اختلفت في الطرق والوسائل. هذا الهدف

النبيل-تيسير النحو –لا زالت الأبحاث تحمل أعباءه وتواصل التنقيب عنه وفق ما تمليه التّطورات والمستجدات، وما زعزع ذلك النّحو في شيء؛ فالنّحو نفيسٌ باقٍ على شاكلته ثابت على حلّته.

الإحالات:

[1]-ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2/1982م، ص24.

[2]-المرجع نفسه، ص38.

[3]-عبد الله بن محمد الحسين، تيسير النحو عند عباس حسن في كتابه النحو الوافي، دكتوراه، بإشراف د/رياض الخوام، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1431ه/ 1432ه، ص4 .

[4]-التواتي بن التواتي، هل النحو العربي في حاجة إلى التيسير؟ مجلة في علوم اللسان وتكنولوجياته، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، ع8/2003م، ص45.

[5]-صالح بلعيد، شكوى مدرس النحو من مادة النحو، أعمال ندوة تيسير النحو، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، 23-24 أفريل 2001م، ص 430 .

[6]-ابن مالك، متن الألفية، ضبط وعلق عليها، عبد اللطيف بن محمد الخطيب، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط1/2006م، ص2.

[7]-ينظر، عبد العليم إبراهيم، النحو الوظيفي، دارالمعارف، القاهرة، ط9/1998م، ص5.

[8]-تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1/2000م، ص8.

[9]-صالح بلعيد، شكوى مدرس النحو من مادة النحو، أعمال ندوة تيسير النحو، ص431.

[10]-شوقي ضيف، تجديد النحو، دار المعارف، القاهرة، ط4/1995م، ص8.

[11]-ينظر، عبد الحميد السيد محمدعبد الحميد، التنوير في تيسير التيسير في النحو، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، دت، ص 7-9.

[12]-علي الجارم، مصطفى أمين، النحو الواضح (في قواعد اللغة العربية)، دار المعارف، القاهرة 1999م، ج1، ص3.

[13]-ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8/1998م، ص130.

[14]-محمد حماسة عبد اللطيف، أحمد مختار عمر، مصطفى النحاس زهران، النحو الأساسي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م، ص3.

[15]-المرجع نفسه، ص3.

[16]-تمام حسان، الخلاصة النحوية، ص 8.

[17]-أبو جعفر النحاس النحوي، التفاحة في النحو، تح: كوركيس عواد، مطبعة العاني، بغداد، 1965م، ص 14.

[18]-ابن رشد، الضروري في النحو، تح: منصور علي عبد السميع، الصحوة للنشر والتوزيع، ط1/2010م، ص101.

[19]-المرجع نفسه، ص28.

[20]-المرجع نفسه، ص 101.

[21]-علي الجارم، مصطفى أمين، النحو الواضح، ج1، ص4.

[22]-عبده الراجحي، التطبيق النحوي، دار المعارف، الإسكندرية ،ط2/2000م، ص9.

[23]-المرجع نفسه، ص 17.

[24]-المرجع نفسه، ص27.

[25]-ميلود غرمول ولجنة التّأليف، اللغة العربية السنة الثانية متوسط، أوراس للنشر، الجزائر، ط1/2017م ص 58.

[26]-عبدالرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري في اللغة العربية، الجزائر، 2010م، ص 14.